

الاقلية الموريسكية مأساتهم وحياتهم الاجتماعية بعد انتهاء

الحكم الاسلامي في الاندلس 1492م

م.د. هند عبد الحق عبد الستار العبيدي
كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
hindabdalhak@gmail.com

الملخص : تعد الحقبة الموريسكية امتداداً حضارياً للاندلس لكنها لم تحظ بالاهتمام بالرغم من اهميتها الا في السنوات الأخيرة ، لذلك من المفيد التطرق الى محنة الموريسكيين في بلاد الاندلس ، حيث ظل غالبية الاندلسيين مقيمين في بلادهم ويمارسون حياتهم بمقتضى معاهدة تسليم غرناطة لكن مواقف الكنيسة الكاثوليكية كان متعصبا تجاههم فالاسبان ينظرون الى الموريسكيين على انهم اقلية وانهم جماعة مختلفة داخل المجتمع الاسباني لأن اصلها اسلامي وتعيش حياتها الاجتماعية بشكل اسلامي وهذا عامل من عوامل تهيمشهم في المجتمع الاسباني فكان الطرد نتيجة لذلك التهميش لأنهم شعروا باستحالة انصهار شعبين متناحرين في بلد واحد.

الكلمات المفتاحية : الاندلس ، الموريسكيون ، غرناطة ، الاسبان ، محاكم التفتيش.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٣/٢٢ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٤/٢٧ تاريخ النشر: ٢٠٢٣/٦/١

The Moorish Minority: Their Tragedy and Social Life after the End of Islamic Rule in Andalusia in 1429 AD

Dr Hind Abdul-Haq Abdul-Sattar Al-Obeidi
Mustansiriyah University/ College of Political Sciences

Abstract:

The Morisco era has been a civilized extension of Andalusia, but despite its importance, it did not receive attention until recent years. Therefore it is useful to deal with the plight of the Moriscos in Andalusia, where the majority of Andalusians live normally under the Treaty of the Handover of Granada. However, the position of the Catholic Church towards them was fanatical. Thus, the Spaniards viewed the Moriscos as a minority and a different group within Spanish society. That was due to the Islamic origin of this group and the Islamic way by which they live. For this reason, this ethnic group was marginalized within the society and then expelled due to the impossibility of coexistence with the Spaniards in one country.

Keywords: Andalusia, Moriscos, Granada, Spaniards, Inquisition courts

المقدمة

بعد تسليم اخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) ظل غالبية الاندلسيين مقيمين في بلادهم ويمارسون شعائرهم الدينية بمقتضى معاهدة تسليم غرناطة في (٨٩٦هـ / ١٤٩١م)، اذ ان التأريخ ابي عبد الله الصغير اخر سلاطين غرناطة باعتباره المسؤول عن ضياع الأندلس، لكن في الحقيقة ان القدر هو من وضع ابي عبد الله هذا الموضع الذي لا يحسد عليه، لأنه تولى ملك الأندلس في زمن كان فيها منهاراً، و ينتظر اعلان الوفاة بشكل رسمي، وبعد عشر سنوات من توقيع معاهدة (تسليم غرناطة) (٨٩٦هـ / ١٤٩١م) تنكر ملك اسبانيا فرناندو لوعوده بعد ان وجد ان اسبانيا لاتسع لغير المسيحيين، وعلى المسلمين ان يغيروا دينهم الى المسيحية او ان يغادروا الاندلس الى العدو الأخرى. فلم يكن من السهل على المسلمين مغادرة ارضهم التي ولدوا وعاشوا فيها كذلك لم يقبلوا ترك دينهم، فاضطروا الى طلب فتوى من علماء المغرب تبيح لهم قبول المسيحية ظاهرياً وممارسة شعائرهم الدينية الإسلامية في الخفاء (أي ممارسة التقية وهي انقاء الشر. واعتبارا من ذلك العام بدأ ما يطلق عليه التاريخ الموريّسكي اي تاريخ الأندلسيين الذين فضلوا البقاء في الاندلس ومارسوا شعائر الاسلام سراً بعد ان تظاهروا باتباع المسيحية. لكن تعرض الموريّسكيون للتكثيل من قبل محاكم التفتيش فانهى بهم المطاف الى طردهم في سنة (١٠١٨-١٠١٩هـ / ١٦٠٩م - ١٦١٠م).

اهمية البحث

يعد هذا الموضوع الخاص بالقضية الموريّسكية من المواضيع المهمة لأن الحقبة الموريّسكية تعد امتداداً حضارياً للأندلس ولم تحظ بالرغم من اهميتها الا في السنوات الأخيرة، لذلك من المفيد التطرق الى محنة الموريّسكيين في بلاد الأندلس والتصدي لمواقف الكنيسة الكاثوليكية في عملية طرد الموريّسكيين من بلادهم بعد ان ثبت استحالة انصهار شعبين متناحرين في بلد واحد وتسليط الضوء على ابرز الملامح الاجتماعية في المجتمع الموريّسكي بعد ضياع الاندلس.

اشكالية البحث

الموريّسكيون هم اولئك المسلمون الذين اجبروا على اعتناق المسيحية في اوائل القرن السادس عشر الميلادي. لكن هل ينظر الاسبان الى الموريّسكيين على انهم جزء من المجتمع



الاسباني المسيحي ؟ ام يعدونهم اقلية وجماعة مختلفة عنهم داخل المجتمع الاسباني عنهم لأن اصلها اسلامي وتعيش بشكل اسلامي ؟

فرضية البحث

تقديم صورة عامة لحياة الموريسكيين كمسلمين ومسلمات في المجتمع الاسباني وفق ظروف القهر والتعصب التي كانت مفروضة عليهم ، ودور الجماعات الاسلامية في المحافظة على تراث الاسلام وانماط الحياة الاسلامية . خاصة ان الاسبان كانوا ينظرون الى الموريسكيين على أنهم اقلية ومختلفين عنهم وهذا عامل من عوامل تهيمشهم في المجتمع الاسباني فكان الطرد نتيجة لذلك التهيمش ، لكن بالرغم من قرار الطرد استطاع عدد قليل جدا من الموريسكيين البقاء في اسبانيا .

منهجية البحث

تم الاعتماد على المنهج التاريخي والوصفي في تقديم الصورة العامة لحياة الموريسكيين في المجتمع الاسباني بعد تسليم غرناطة ١٤٩٢م وكيف تم تهيمشهم ثم طردهم من قبل الاسبان بوصفهم اقلية وجماعة مختلفة عنهم داخل مجتمعهم المسيحي .

المبحث الاول

تاريخ الموريسكيين (los Moriscos)

يبدأ تاريخ الموريسكيين منذ تسليم غرناطة اخر معاقل المسلمين في اسبانيا و الاندلسيين الذين اقاموا في قصر الحمراء حتى اواخر القرن الخامس عشر الميلادي (عبدالكريم ٢٠١٦، ١١) اذ تعد الحقبة الموريسكية امتدادا حضاريا للاندلس ،لذا من المفيد أن نتطرق الى محنة الموريسكيين هناك ، فبعد تسليم غرناطة عام (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) ، استمر مسلمي الأندلس في ممارسة شعائهم الدينية بمقتضى معاهدة تسليم غرناطة (برانشينا ٢٠١٢، ١٣) ، فـ (الموريسكيون) (moriscos) (الذنون ١٩٨٨، ٧١، الرجيبى ٢٠٠٤، ١٩-٢٠)، كما هو متفق عليه هو الاسم الذي اطلق على المسلمين الذين بقوا تحت سلطة الملوك الإسبان، وقد اصبحت كلمة مورو (moro) التي تقابل في إسبانيا كل عربي او مسلم (حجي ١٩٦٤، ١٦٧) ، كما اطلق الإسبان هذا اللفظ على جميع المسلمين الأندلسيين ،وبمرور الزمن اصبح لفظ مورو moro التسميه العامة لمسلمي الأندلس والمغرب (عبدالكريم ٢٠١٦، ٧)، واطلق عليهم ايضا تسمية مدجنين [ان المصطلح مشتق من اللاتينية باسم (الماوري) (scusmauri) او (skusmauri) ، اي اهل الشمال الافريقي الاوسط والغربي، فقد كانت هذه التسميه تطلق

عند الرومان على اهل هذه النواحي، وقد يسمون ماوري باتشي (mauripaci) الى الماوري المستأمنين او المسالمين، وهناك ايضا مصطلح في الرومانية العالمية يحمل هذا المعنى scusmauri، تستخدم في تعريف المسلمين Mauro [(حماده ١٩٨٨، ٥٢٧)]، اي المسلمين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسيحيين الذين فتحوا واستردوا كثيرا من الاراضي الاندلسية وسائر القواعد الاسلامية في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي لكن شاع استخدامه منذ اوائل القرن الثالث عشر الميلادي وكان تسامح المسيحيين في اول الامر مع المدجنين امرا معترف به حيث كانوا يتمتعون بكل حقوقهم الشرعية والمدنية والدينية وذلك ليخففوا عنهم وطأة اذلالهم وهزيمتهم وانسلاخهم عن مجتمعاتهم القديم وانتمائهم الى المجتمع المسيحي لكن تبدل الحال منذ ان اتسعت الفتوحات المسيحية في الاندلس وازداد عدد المدجنين في مختلف المناطق المفتوحة وكانت الكنيسة تبغضهم وتحقد عليهم ونادت بعدم التسامح معهم وتحديدهم وحرصوا الملوك الكاثوليك على مطاردتهم واتباع سياسة العنف ضدهم او تصديرهم (عبدالكريم ٢٠١٦، ٦) ولفظ مدجن في الواقع سابق للفظ الموريسكيين الذي استعمل في اول الامر اثناء الصراع على مملكة غرناطة، ليدل على كل من كان يدخل في طاعة ملوك الإسبان ثم اطلق بعد ذلك على مسلمي غرناطة، بعد تسليمها بأيديهم سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) (اورتيث، دومينغيث، فينسينت ٢٠٠٧، ٢٤؛ حتي و جرجي و جبور ٢٠٠٧، ٦٣٦-٦٣٧).

على اية حال ان اذا كان الاصل اللغوي لكلمة موريسكي مشتق من كلمة مورو (moro) فإن ذلك سيتحدد في ضوء العصر الذي قيل فيه بأنهم مجموعة مسلمة وسط المجتمع الاسباني خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، بالنسبة الى تحديد موقع هذه الجماعة من وجهة النظر الاسبانية فانها تعد الموريسكيين اقلية شكل ذلك جزء من واقع القرن السادس عشر اذ رفضهم المجتمع الاسباني لهويتهم الاسلامية (ايبالنا ٢٠٠٥، ٤٩-٥٠).

ان تحديد المعالم او الطابع الحقيقية للموريسكيين تعد من اصعب المتاعب التي تواجه المؤرخ فهناك من ينظر اليهم بأنهم شعب مثقف، مجتهد، مسلم، خاصة تلك الوثائق التي خلفها لنا العديد من المؤرخين الاسبان لكن يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الرعب الذي يواجهه هؤلاء من طرف الكنيسة والملك بأعتبار ان الموريسكيين كانوا يعتبرون اعداء لأسبانيا، اذ وصف احد المؤرخين الاسبان صورة وطباع الموريسكيين قائلاً (برانشينا ٢٠١٢، ١٣١): «كانوا اناسا جميلي الوجه والطلعة، متعاسين، أعداء للعلم والتجربة، أخلاقهم فاضلة وطيبين بعيدين عن كل سلوك مدني أو سياسي عقلائي، لا يراعون المبادئ الصحية في سلوكهم إلا التي يضطرون إليها» وقال عنهم ايضا: «كانو يحبون السخرية، يعشقون الغناء والرقص ويفضلون



نفخ المزمار والدف، ويربون المواشي والحيوانات التي يعتمدون عليها في عملياتهم الحربية ويستمتعون بالسير والتسكع في الطرقات^(١) واذاف قائلاً : ((كان الموريسكيون مسلمين حتى النخاع في جميع مناحي عيشهم، عاداتهم ولغتهم ، يطبقون تعاليم القرآن في حياتهم اليومية ويقدمون موروث اجدادهم ، والمتنصرون منهم لم يتركوا ممارستها واعتقادها وكانوا يعتبرون انفسهم اعداء للمسيح حتى داخل الدين الجديد . وقد اثبتت وثائق تاريخية هامة ومتعددة تشبهتهم بتعاليم محمد وممارستها رغم كل المحن والظروف^(٢))).

وما يهمننا من الإشارات السابقة بخصوص المدجنين أو الموريسكيين هو التأكيد على السياسة التي اتبعها الإسبان حيال مسلمي الأندلس ، حيث تمثلت بعزلهم وتعريفهم بتلك المصطلحات امام النصارى في عموم إسبانيا ليسهل الانقضااض عليهم، على الرغم من التأكيدات البابوية والملكية بخصوص تنفيذ بنود المعاهدة التي تعهدتها كتابياً: ((إن ملكي قشتالة) فرناندو وايزابيلا) يؤكدان ويضمنان بدينهما ويوقعانه باسميهما وبمهرانه بخاتميهما^(٣) (عنان ١٩٩٧، ٣١٣). فالأندلسيون كان عندهم بصيص امل ان الأسبان سينفذون ما عاهدوهم عليه عند تسليم غرناطة وستكون للمسلمين حرية العبادة ، وتطبيق أحكام الأسلام خاصة عندما تولى اسقفية غرناطة هرناندو دي تالابيرا (Hernando de Talavera)* (كارباخال ٢٠١٢، ١٤١-١٤٢) اثر في عقول المسلمين لتسامحه معهم ومحافظة على حقوقهم لكن حينما قدم المتعصب دينيا الكاردينال خيمينيث (Ximenes de Cinseros) (رئيس اسقفية طليطلة ، ورئيس محاكم التفتيش سنة ١٥٠٦-١٥١٦)* (هيروسكوت، ويليام ١٩٦٢، ٢٤٢) مرسلًا لمعاونة اسقف غرناطة تالابيرا من قبل ايزابيلا (ملكة اسبانيا) التي سعى لتحريضها على مسلمي الأندلس و تسميم عقلها بالبدعة الفاسده التي قالت: ((ان الوفاء بالعهد مع المنشقين هو خرق للعهد مع الله^(٤) (بوفيل، هاليت ١٩٨٨، ٢٤٥)

لم يرض الكاردينال خيمينيث عن سياسة اللين التي كان يصطنعها تالابيرا ، ، تبعاً لذلك لم تصمد النوايا الحسنة للمواثيق النظرية امام الواقع وبعضها لم يطبق كحمل السلاح الذي حرم على المسلمين، وحق شراء الأراضي لتسهيل توطين النصارى في المنطقة ، كما فرضت ضرائب جديدة ، وتدرجياً نقضت شروط الامان التي منحت للمسلمين مقابل تسليم غرناطة، فقد كانت الدعوة الى تصفير المسلمين في بدايتها بطريق الوعظ والاختيار (لويس ديل مارمول كارباخال ٢٠١٢، ١٤١-١٥١؛ براتشينا ٢٠١٢، ١١٦-١١٩)

كانت المحاولة الأولى لأجبار الغرناطيين على التصرف قد خابت لاسيما بعد اشتعال الفتنة بغرناطة و حبس العديد من المسلمين وبينما سيقّت احدى نساء غرناطة الى السجن وهي



تستغيث عزائم اهل حي البيازين (شمال غرناطة واكبر احيائها) الذين اخذوا اسلحتهم وأنقذوها فاشتعلت الفتنة بغرناطة وتحفز اهلها للقتال ،لكن حامية غرناطة لم تتمكن من صد الشائرين فأثار هذا غضب خيمينيث إذ انتشرت الثورة في انحاء غرناطة كافة، فأرسلت ايزابيلا جيشاً لإخضاع الثوار لكنها فشلت ،مما دفع فرناندو (ملك اسبانيا وزوج ايزابيلا) الى اسناد المهمة لأحد القادة الإسبان الا أنه لقي حقه، الأمر الذي دفع فرناندو لقيادة الحملة بنفسه للقضاء على الثورة متخذاً كل الاجراءات التي تساعده على تحقيق هدفه المنشود (قطب ٢٠١٠، ١٦-١٧) .

ولكن لم يتمكن من اخماد هذه الثورة الا الأسقف تالابيرا حينما خرج الى الشائرين هادئاً لاتباعه من رجاله الا حملة الصليب ودخل من دون خوف الى ريبض البيازين ، حيث احاط به الناس وقبلوا طرف عبايته وبثوا اليه شكواهم وابتغوا اليه الرفق وحسن الوساطة فاضطر الكاردينال خيمينث الى مغادرة غرناطة لكنه لم يكن بالرجل الذي يسهل صرفه عن مآربه، فما لبث ان جاءت الطامة الكبرى في سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م)، حين اغرى الكاردينال خيمينث ايزابيلا بأصدار مرسوم تخير فيه الأندلسيين بين التنصر جبراً او مغادرة البلاد، وتحريم اقامة شعائرهم الدينية واغلاق المساجد، وعمد الكاردينال خيمينث الى الكتب الإسلامية الموجودة بغرناطة، واحرق منها مئات الآلاف، ولم يبق منها الا ثلاثمائة كتاب في الطب وبهذا تكون الحرب الفعلية قد شنت على من آثر البقاء من الأندلسيين كي يتشردوا في بقاع الأرض بلا أهل ولا مأوى، وعلى هذا الأسلوب الذي ارتضاه ملكي اسبانيا اجبر اليهود ايضا على التنصر (اورتيث، فينسينت، برنارد ٢٠٠٧، ٢٥-٢٦) .

ذكر المقري (التلمساني ١٩٣٩، ٩٨) ذلك بالقول: ((.....فلما رأى الطاغية أن الناس تركوا الجواز وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أول مرة ولم يزل ينقضها فصلاً فصلاً الى ان نقض جميعها وزالت حرمة المسلمين وادركهم الهوان والذلة واستطال عليهم النصارى وفرضت عليهم المغارم الثقيلة.... ثم بعد ذلك دعأهم الى التنصر واكراههم عليه فدخلوا فيه كرهاً، وصارت الأندلس كلها دار كفر وجعلت في المساجد والمآذن النواقيس والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن)).

يبدو أن الملكين الكاثوليكيين اعتمدا سياسة إفراغ الأندلس من المسلمين وكان اداتهم في ذلك (ديوان التحقيق) (التلمساني ١٩٣٩، ٧١) ؛ حجي ١٩٦٤، ١٦٧-١٦٨؛ الرجبي ٢٠٠٤، ٢٢) المدعوم من قبل الكنيسة الذي نشط بشكل كبير باتباع الشدة ضد المتمسكين بالبقاء لغرض اخضاعهم لسياسة التهجير، كما صدرت العديد من المراسيم التي تحول بين الأندلسيين وبين دينهم ولغتهم وعاداتهم (بواس ٢٠١١) ،اما نبلاء قشتالة فقد استحوذوا على

أراضي الغرناطين إذ وزعت مساحات واسعة من تلك الأراضي عليهم، فاضحى مالكي الارض من المسلمين اتباعاً وعبداً في ارضهم لحساب الملاك الجدد من هؤلاء النبلاء (مجهول ٢٠٠٢، ١٠٨-١٠٩) .

وفي سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م)، صدر امر بطرد الموريسكيين الذين لم يتنصروا وانتهاء الوجود الاسلامي في الاندلس، وتم بموجب قرار آخر سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) إذ كان وجود المسلمين يعد خطراً على الدولة المسيحية، ومنعوا من حمل السلاح بأي وجه كان، وكانت نتيجة هذه الضغوط أن عمت ثورة المسلمون بجميع مدن البشارات (البوخاراس) فاتخذ الإسبان ضدهم كل وسيلة لقمع الثورة (اورتيث ، فينسينت ٢٠٠٧، ٣٠ ; قطب ٢٠١٠، ١٧) . ارسل الأندلسيون استغاثتهم الى السلطان المملوكي، قانصوه الغوري [ببيع بعد خلع الملك العادل طومان باي الاول ٩٠٦هـ/١٥٠١م، لقب بالملك الاشرف اختاره امراء مصر للسلطة لانه لين العريكة، سهل الازالة في اي وقت ان ارادوا عزله عزله لانه كان اقلهم واضعفهم حالاً، واوهمهم قوه كانت مدة سلطته ١٥ سنة و ١٩ شهر الى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م] (مقديش ١٩٨٨، ٤٢-٤٣ ; الصدي ١٩٠٧، ٩٠-٩١) ، إذ دعوه للتوسط لدى الملكين الكاثوليكين لوقف اضطهادهما لمسلمي الأندلس، لكن الملكين الكاثوليكين ارسلوا اليه وفداً لأقناع الغوري بانهم يعاملون الموريسكيين معاملة حسنة (حتاملة ١٩٨٠، ٩٩-١٠٠) ، فخابت آمال الأندلسيين ويبدو ان موقف المماليك جاء نتيجة لضعف اسطولهم البحري، وانشغالهم بخطر المغول الذي كان يهددهم، ومواجهة اندفاع العثمانيين وتوسعهم نحو الشرق (السامرائي ، طه و مطلوب ٢٠٠٨، ٤١٣) . كما خابت امال الثوار الأندلسيون عندما ارسلوا صرخات استغاثتهم للسلطان العثماني بايزيد الثاني [هو السلطان العثماني الثامن خلف والده محمد الفاتح في الحكم أذ وجهه اهتمامه نحو الاصلاحات الداخلية وتأمين حدود دولته] (الجوابره ٢٠٠٤، ٢٢٦-٢٢٩ ; الصدي ١٩٠٧، ٩٠-٩١)، (٨٨٦-٩١٨هـ/١٤٨١-١٥١٢م) لكونه كان مشغولاً بالاستعداد لغزو سلطنة المماليك بمصر والشام (المطوي ١٩٨٢، ٢٥١) ، نقتطف بعض الأبيات الشعرية التي ارسلها احد المسلمين بعد سقوط غرناطة مستغيثاً بالسلطان العثماني بايزيد الثاني..... طالباً نجده فأنشد قائلاً:
(جيمس ١٩٩١، ١١-١٢)

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم	بدأ غدرهم فينا ينقص العزيمة
وخان عهداً كان قد غرنا فيها	ونصرنا كرهاً بعنف و سطوة
وإحراق ماكانت من مصاحفٍ	وخلطها بالزبل أو بالنجاسة



هكذا لم يحصل الأندلسيون على نجدات إخوانهم سواء في المشرق أو في المغرب فلم يبق امامهم سوى خيارات ثلاثة هي الموت أو التتصر القسري أو الهجرات القسرية خارج البلاد (السامرائي و طه و مطلوب ٢٠٠٨، ٤١٣ ; مظهر ١٩٤٧، ١٨).

فضل الكثير من الأندلسيين البقاء في بلادهم والقبول بالأمر الواقع، والتتصر القسري ولو بالظاهر، إذ صعب عليهم مفارقة أرضهم وهناك فريق آخر أبى عليه عزة الإسلام أن يعيش ذليلاً أو منتصراً فترك البلاد وهاجر الى مصر وبلاد الشام وبلاد العُدوة (بلاد المغرب) ومنهم من ذهب مع الرحلات الاستكشافية الى امريكا الوسطى والجنوبية (السامرائي و طه و مطلوب ٢٠٠٨، ٣١٠).

والظاهر أنّ اعلاء الكاثوليكية في الأندلس عموماً لاسيما في غرناطة إنما كان سيلزم القضاء على جميع المذاهب والديانات فكانوا يرون أن محاكم التفتيش الوسيلة الأكثر نجاحاً في اجتثاث الشعائر الإسلامية، حتى اصبحت هذه المحاكم رمزاً للاضطهاد والتتكيل (السامرائي و طه و مطلوب ٢٠٠٨، ٣٠٦)، فقد وصفها الكتاب المورسكيون بانها (محاكم الشيطان) ورئيسها ومستشاروه أما مخادعون أو عملاء، وقالوا ايضاً: ((إن الكفار رجال محاكم التفتيش هم مدفوعون بواعز شيطاني يريدون أن يكونوا قضاة للنفوس ويحاولون إجبار الناس بالقوة على القول ما يريدون بطرق شيطانية ملعونة وبدون ادلة)) (الرجبي ٢٠٠٤، ٢٣).

ومن الجدير بالذكر ان هذه المحاكم في إسبانيا كانت تثير الرعب في النفوس وتبعث على الاشمئزاز والذعر من مناظر تنفيذ الاحكام امام الناس وخصوصاً الأندلسيين المسلمين لاجبارهم على النزوح من المدن الأندلسية بحسب زعمهم: ((ان لامكان للملحين في ديارهم)) (الرجبي ٢٠٠٤، ٢٢).

قبل موت ملكي اسبانيا أوصوا بالاستئصال النهائي للجنس المسلم من فوق تراب اسبانيا، فكانت القرارات كلها تصب في طرد واستئصال المسلمين (برانشينا ٢٠١٢، ٢٥)

خلف فرناندو حفيده شارل او كارلوس الخامس Charles v (الامبراطور شارلكان) * (راشد ١٩٨٦ ; جلال ١٩٩٩، ١٥٤)، رعى الموريسكيون ان يكون العهد الجديد خيرا من سابقه، وفي الواقع ان الملك الجديد ابدى شيئاً من اللين نحو الموريسكيين كما جنحت محاكم التفتيش الى نوع من الاعتدال في مطاردتهم، لكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة اعوام ، اذ عادت العناصر الرجعية في البلاط والكنيسة فغلبت كلمتها (عنان ١٩٩٧، ٣٥١) وصدر مرسوم سنة (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) يحتم بتتصير كل مسلم بقى على دينه واخراج من ابى النصرانية من اسبانيا وان يعاقب كل مسلم ابى التتصر او الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة



(حومد ١٩٨٨، ٢٣٧) ،وان تحول جميع المساجد الى كنائس (قطب ٢٠١٠، ٥١-٥٢)، ولما رأى الموريسكيون هذا التطرف استغاثوا بالأمبراطور شارلكان، وبعثوا وفدا منهم الى مدريد ليشرح له مظلهمهم سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م فندب الأمبراطور محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق برئاسة المحقق العام للنظر في الشكوى ولتقرر بالأخص ما اذا كان التنصير الذي وقع على المسلمين بالأكره يعتبر صحيحا ملزما بمعنى انه يحتم العقاب بالموت على المخالف،ام يطبق القرار الجديد عليهم كمسلمين، وبعد مناقشات طويلة اصدرت المحكمة قرارها بأن التنصير الذي وقع على المسلمين صحيح لاتشوبه شائبة لان الموريسكيين سارعوا بقبوله اتقاء لما هو شر منه فكانوا بذلك احرارا بقبوله ، وعلى اثر ذلك صدر قرار ملكي باكره المورسكيين على البقاء في اسبانيا باعتبارهم نصارى وان ينصروا كل أولادهم فاذا ارتدوا عن النصرانية ، قضى عليهم بالموت وقضى الأمر في الوقت نفسه بتحويل جميع المساجد الباقية الى كنائس.كان لهذه القرارات وقعا سيئا على المسلمين فما لبث ان نشبت الثورة في معظم الأنحاء التي يقطنوها خاصة في احياء سرقسطة وبلنسية وغيرها، لكن مالبث ان اخمدت هذه الثورات المحلية الضئيلة ، باستثناء بلنسية كانت في طليعة المدن الثائرة فقد شهدت مقاومة عنيفة عندما فرض التنصير العام لانها تضم حشدا كبيرا من المسلمين فضلا عن وقوعها على البحر مما يمهّد للمسلمين الاتصال بأخوانهم في المغرب، فكانت اسبانيا تنتظر اليها باهتمام خاص، لكن الأسبان قد تمكنوا من اخضاعهم بعد ان هاجموهم بقوة مزودة بالمدافع فارغم المسلمون على التسليم وارسل اليهم الأمبراطور اعلان بالأمان على ان يتنصروا وعدلت عقوبة الرق الى غرامة وايضا افتدى الأندلسيون من الأمبراطور حق ارتداء ملابسهم القومية بمبلغ معين(عنان ١٩٩٧، ٣٥٢-٣٥٣).

يبدو ان سياسة التهدة التي اتبعها الأمبراطور كان هدفها تهدئة الأوضاع في جنوب الأندلس لغرض مواجهة الاضطرابات التي عمت شمال اوربا لاسيما في المانيا وهولندا بعد ظهور مارتين لوثر (سيد ٢٠٠٩، ٩٨-١٠١) وطروحاته الدينية وانتشار البروتستانتية، لهذا كان بحاجة الى توجيه اهتمامه نحو شمال اوربا ،كما ان قيام محاكم التفتيش باحراق جميع المسلمين لأن الكنيسة كانت تدرك ان تنصرهم شكلي لاقيمة له (برانشينا ٢٠١٢، ١٤٩-١٥٠) .

لكن مالبث ان توالى القوانين المرهقة للمسلمين فصدر قانون يقضي باكره جميع المسلمين وازالة كل خصائصهم وسماتهم واي رمز له صلة بالدين الإسلامي مثل الختان أو الطريقة الإسلامية لذبح الحيوانات ، واجبارهم على هجر سنة الاستحمام اقتداءً بهم والصبر على تراكم الأقدار، ومنع اقامة الحفلات على الطريقة الإسلامية، واجبروهم على هجر لغتهم والتكلم



بالأسبانية وان يغيروا أسماءهم بأسماء اسبانية ، وان لايلبسوا الملابس العربية ، وان يعملوا عمل الأسبان . (عنان ١٩٩٧ ، ٣٥٧-٣٥٨)

ولكي تطبق هذه القوانين بصورة حازمة، اسندت هذه المهمة الى ديوان التحقيق الذي تعول عليه الإسبان في ضغوطهم على المسلمين الذين قدر لهم ان يعيشوا تلك الايام الرهيبة التي ساد فيها ارباب محاكم التفتيش (اورتيث و برنارد ٢٠٠٧ ، ٣٠ ; بروكلمان ١٩٨١ ، ٣٤٤) .

وهكذا تتلخص السياسة الأسبانية ايام الأمبراطور شارلكان (٩٢٢-٩٦٣هـ / ١٥١٦-١٥٥٥م) تجاه الموريسكيين بانها كانت تتردد بين الشدة والقسوة وبين بعض مظاهر اللين والعفو فقد تعرض المسلمون للقتل اذ وجدت فيهم محاكم التفتيش مجالا لتعصبها وارهابها (عنان ١٩٩٧ ، ٣٥٦) .

ظل المسلمون في غيظ مكتوم بعد ثورة البشراة الأولى حوالي نصف قرن ، فقد ادوا مكرهين اقل مايستطيعون اداءه من الدين الذي فرض عليهم ، ولكنهم اذا خلوا الى انفسهم قاموا بتطهر اولادهم من الماء المقدس الذي كانوا يعمدون به في الكنائس واذا قام قسيس بتزويجهم اسرعوا الى منازلهم لاعادة عقد الزواج وفق الشريعة الإسلامية ، وبما ان حكام اسبانيا لم يكونوا امناء في مراعات عهودهم مع الموريسكيين لذلك عمد بعض الموريسكيين لطلب العون من قراصنة البحر الذين كانوا ينزلون في ثغور الأندلس لاختطاف اولاد النصارى (الجارم ١٩٤٤ ، ٢١٧-٢١٨) .

خلف شارلكان ولده فليپ الثاني (Felipe II) (٩٦٣-١٠٠٧هـ)/(١٥٥٥-١٥٩٨م)* (نوار ١٩٩٧ ، ٥٢) كان التنصر قد شمل الموريسكيين يومئذ وجردت منهم كل مظاهر العروبة والأسلام، اذ اغتتمت الكنيسة فرصتها في اذكاء عوامل الاضطهاد والتعصب عندما تولى فليپ الثاني عرش اسبانيا الذي اشتهر بتعصبه وخضوعه لوعي الأبحار والكنيسة ويرى في الموريسكيين ماتراه الكنيسة بكونهم عنصرا بغيا يمثّل خطرا دخيلا على المجتمع الإسباني كله ، فلم تمضي اعوام على توليته العرش حتى ظهرت بوادر التعصب تجاه الموريسكيين في طائفة من القوانين التي اصدرها ففي سنة (٩٧١هـ/١٥٦٣م) أمر بنزع السلاح من الموريسكيين وتم ذلك في يوم واحد وخلال اربع ساعات، اثار صدور هذا القانون سخط الموريسكيين لكون السلاح ضروري للدفاع عن انفسهم في محلاتهم المنعزلة النائية (نوار ١٩٩٧ ، ٥٢ ; طاهر ٢٠١٠) ، ان هذا القانون كان مقدمة لقانون اقصى ففي سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) امر ان يجدد القانون القديم بتحريم اللغة والثياب العربية ، وذلك لان شارلكان قد اجاز للموريسكيين استخدام اللغة العربية نظير ضريبة معينة ، لكن الكنيسة كانت ترى ان بقاء اللغة العربية يمنع تغلغل النصرانية في



نفوس الموريسكيين .كان القانون يقضي ان يمنح الموريسكيون مدة ثلاثة اعوام لتعلم اللغة القشتالية وان تسلم الكتب العربية في اي مادة في ظرف ثلاثين يوما الى رئيس المجلس الملكي في غرناطة لتفحص ثم يرد الغير ممنوع منها الى اصحابها لتحفظ لديهم خلال الثلاثة اعوام فقط، اما الثياب فقد اجبر الموريسكيون على خلع ازياهم الوطنية واستبدالها بملابس وقبعات النصرى ، وسمح بارتداء الملابس الحريية منها مدة عام والصوفية مدة عامين ولا يسمح بارتدائها بعد ذلك كما حظر التحجب على النساء الموريسكيات وعليهن ان يكشفن وجوههن. فضلاً عن فتح أبواب المنازل ايام الأحتفالات والأعياد ليستطيع القس ورجال الشرطة ان يروا ما يقع بداخلها كما حرم التخضب بالحناء وتحريم استخدام الألقاب والأسماء العربية، وان تهدم جميع الحمامات العامة والخاصة وبالنسبة للموريسكيين الذين يملكون العبيد السود ان يقدموا رخصهم باستخدامهم للنظر فيما اذا كان يسمح لهم باستبقائهم ، ان هذا القانون كان بمثابة الضربة القاضية لبقايا الأمة الأندلسية (حومد، اسعد ١٩٨٨ ، ٢٥٢ ، براتشينا ٢٠١٢ ، ٣٥٩ - ٣٦٠) .

ان تجريد الموريسكيين دفعة واحدة من دينهم وقوميتهم كان فوق الاحتمال ، فاشتعلت العديد من الثورات ، نذكر منها ماحدث من شغب من جراء ظلم بعض جباة الضرائب ،فاشتعلت نار الفتنة الخامدة ، قتل من جرائها بعض جنود الاسبان من قبل الزراع بسبب احتلال دورهم ، كما ثار صباغ بغرناطة اسمه فرج بن فرج ينتمي الى بني سراج * (كارباخال ١٩٨٤) ، تمكن من جمع عدد من الساخطين فر بهم الى الجبال نادى هذه الجماعة بـ(هرناندو فالورملكا) (Hernando Valormelka) * (حومد ١٩٨٨ ، ٢٩٦) على الأندلس وسموه بمحمد بن امية ، وهو من نسل خلفاء قرطبة واحد اعيان غرناطة ، بعد اسبوع عمت الثورة وحمل رجال البشترات السلاح كانت بداية هذه الثورة سنة (٩٧٦هـ / ١٥٦٨م)، إذ عدت منطقة البشترات من افضل المناطق للثورات لحصانتها، استمرت الثورة بالبشترات مدة سنتين ، ولم يتمكن الاسبان من اطفائها الا بعد جهد جهيد، وتاريخ هذه الثورة ملئ بالتعذيب والقتل من كلا الطرفين ، كان صراع الموريسكيون شديد لان صراهم مع الاسبان كان الأخير وفي اخر مكان يستطيعون الوقوف فيه، ذكر كارباخال ان الموريسكيين ادركوا انهم مطاردون فأخذوا في هجماتهم الأولى ينتقمون لما نالهم من اضطهاد على مدى مئة عام ، ما لبث ان ثارت القرى الواحدة تلو الأخرى في وجه الاسبان ، فدنست الكنائس وتم الاعتداء على القساوسة ، والتكثيل بالنصارى الذين التجؤوا الى الأبراج والحصون وغيرها من اعمال العنف والتكثيل التي يصورها



لنا كاريخال عما قام به الموريسكيون تجاه النصارى (اورتيث ، برنارد ٢٠٠٧، ٥١ ؛ عنان ١٩٩٧، ٢٦٢-٢٦٤)

هجم قائد غرناطة الماركيز منديجار (Mndegar) (كاريخال ٢٠١٢، ٤٥٩، حومد ١٩٨٨، ٢٨٩-٣١٧) على رأس أربعة آلاف من الجنود على الجبال ، حاول ان يأخذ الثوار باللين لكن المذبحة بحق الموريسكيون بجيوبيليس قد حدثت، وايضا غدر الأسبان لهم في لارول أثار كل ذلك غضب الموريسكيون ، وعادت نيران الثورة الى ماكانت عليه ، وتلا ذلك ما قام به بعض المسجونين الاسبان عندما ذبحوا مائة وعشرة من المسلمين بسجن البيازين مما زاد من غضبهم وكان الماركيز منديجار راغبا في مسالمة المسلمين، اذ سار الى السجن ليهدئ مابه من اضطراب ، لكن رئيس شرطة المدينة اخبره بالمذبحة التي حدثت في السجن بحق المسلمين وان جميعهم قد ماتوا، وبعد تلك الأحداث تمكن الموريسكيين من تحقيق انتصارات كبيرة على الأسبان حتى اصبح ابن امية اميرا على منطقة البشرات، الا انه لم ينعم بالحكم سوى مدة قصيرة، فقد خنق بالخمار الخاص به في فراشه من قبل بعض اتباعه سنة (٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) لبغضهم له ،خلفه ابنه عبد الله (كاريخال ٢٠١٢، ١٨٦-١٩٦) ، كان مخلصا ، وقائدا شجاعا اذ حارب عدوا من نوع جديد وهو الدون خوان دي اوستريا(هو اخو ملك اسبانيا فليب الثاني تم تعيينه سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م قائدا عاما للقوات المحاربة) (حومد ١٩٨٨، ٣١٧) (don Juan de Austria) ،الذي خلف منديجار في قيادة الجيوش ، اقنع ملك اسبانيا فليب بخطورة الموقف وضرورة حسمه بشتى الطرق فأمر فليب الثاني (Felipe II) بالهجوم ، ففي شتاء (٩٨٧هـ- ٩٧٨ / ١٥٦٩-١٥٧٠م) زحف الدون خوان دي اوستريا على الموريسكيين وكان شعاره (لا ابقاء ولا هوادة)، سالت من نتيجة هذه الحرب انهار من الدماء ذبح فيها النساء والأطفال بامر من الدون خوان دي اوستريا وتحت بصره واصبحت أرض البشرات مجازر بشرية . وبعد ان خمد العصيان ، انطلقت اخر شرارة للثورة ، وذلك لان عبد الله لم يخضع للاسبان لكنهم تمكنوا منة في النهاية ، اذ قام الاسبان بجر جسده وتقطيعه الى أربعة أجزاء وتم وضع الرأس في قفص حديدي يعلو قوس بوابة راستو (rastro) المفضية الى طريق البشرات إذ ظل معلقا مدة ثلاثين عاما (كاريخال ٢٠١٢، ٥٢٥-٥٣١) .

قام دي اوستريا de Austria بصرف المحاربين للقضاء على الثوار المتبقين في الجبال وتم اطفاء الشرارة الأخيرة للثورة سنة (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م) ،اذ احترقت القرى ، ولم ينجوا منها حتى الملتجئين الى الكهوف اذ يُوجه اليهم الدخان حتى يموتوا، أو يخرجوا فيتم قتلهم . أما من نجا من هذه الثورة حُكم عليه بالعبودية ونفي الباقيين الى شعاب الجبال اذ هلك في الطريق كثير منهم



من جراء الجوع والتعب، هاجر بعضهم الى افريقيا والبعض الآخر الى فرنسا لكن هنري الرابع (Enrique IV) (٩٦١ - ١٠١٩ هـ / ١٥٥٣ - ١٦١٠ م) ملك فرنسا لم يرحب بهم، من الجدير بالذكر ان عدد هؤلاء كان قليل قياسا لقتلى الثورة الذي بلغ عددهم أكثر من عشرين الف موريسكي، امامن بقي من الموريسكيين احتفل الاسبان بقتلهم في عيد القديسين سنة (٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م)، الذي مجد فيه الأسبان ذكرى الحواريين والشهداء (كارباخال ٢٠١٢، ٥٠٧-٥٢٤).

ارتقى فلييب الثالث (Felipe III) العرش عام (١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م) (كان يعرف ايضا بفلييب الورع ولد في مدريد سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م وتوفي سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦٢١ م، كان ملكا على اسبانيا و صقلية ونابلي والبرتغال وهو نجل فلييب الثاني ملك اسبانيا دخلت اسبانيا في عهده حرب الثلاثين عام كان تزمته الديني عاملا في طرد العرب من اسبانيا) (الموسوعة العربية الميسرة، ١٣٥٢) وضع فلييب الثالث ثقته في شخص يدعى فرانسسكو دو سال دوفال (Francsqua Dossal Duval) ماركيز دانية، اخذ يتصرف في امور الدولة ويطبق سياسته الشخصية كما يشاء وقد حمل مجلس الدولة (الكورتس) Alchorts الى الأخذ برأيه في امر مصير الموريسكيين وفي سنة (١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م) عقد الكورتس جلسة لبحث مسألة طرد الموريسكيون من اسبانيا وتوصل المجتمعون الى قرارات حول مصيرهم، وفي سنة (١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م) عقد المجلس جلسة قرر فيها الاقتراح على الملك بطرد الموريسكيون من مملكة ارغون وفي عام (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) اتخذ القرار بالطرد (حومد ١٩٨٨، ١٦١-١٦٣)

لم ينتهي نفي الموريسكيون من اسبانيا الا في سنة (١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م) عندما حكم على نصف مليون موريسكي بالنفي، بالرغم من ذلك استطاع عدد قليل جدا من الموريسكيين البقاء في مناطق محدده من اسبانيا بعد قرار الطرد (اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ٢٩٣-٢٩٥، ٣٣٧). انتهج الأسبان وشفى غليلهم لمشاهد الطرد، لكنهم لم يدركوا انهم قتلوا حضارة لم تبلغ اوج ما بلغت اية مملكة في اوربا (الجارم ١٩٤٤، ٢٢٢-٢٢٣).

إن اصداء ممارسات الإسبان ضد مسلمي الأندلس وغرناطة تحديداً كان لها عميق الأثر ليس في المغرب فقط بل في العالم الإسلامي، إذ تركت أثرها البالغ في النفوس واتخذت شكل احتجاجات، فاقيمت الدعوات لنجدة المسلمين المضطهدين والجهد بتحريض الناس على الجهاد والخطب في المساجد وفي المنابر لما يرتكبه الإسبان بواسطة محاكم التفتيش من جرائم بحق الإسلام والمسلمين هناك (الرجبي ٢٠٠٤، ٢٣).

المبحث الثاني

صور من الحياة الاجتماعية للموريسكيين بعد نهاية الاندلس

المجتمع الموريسكي

الموريسكيين من وجهة النظر الاسبانية ترى انهم اقلية وانهم جماعة مختلفة داخل المجتمع الاسباني لأن اصلها اسلامي وتعيش بشكل اسلامي ، فان ماضيهم وارتباطهم بالعالم الاسلامي عامة والاندلس خاصة شكل جزء من واقع القرن ١٦م لكن ذلك كان عامل من عوامل تهميشهم في المجتمع الاسباني فكان الطرد نتيجة لذلك التهميش اما وجهة النظر الاسلامية ترى ان الموريسكيين هم آخر المسلمين في الاندلس وهم يدخلون في مجتمع اسباني يكن لهم العداء لاختلافهم عنهم . ففي القرن ١٦ و١٧م كان الموريسكيين مسلمين وشرقيين ويتحدثون العربية، اما المجتمع الاسباني كان نصرانيا واوروبا ويتحدث اللغة الرومانية، ان وجهة النظر هذه تتركز على هوية الموريسكيين الاسلامية مضافا اليها عناصر اكتسبوها من المجتمع الاسباني فالموريسكيين حسب تعبير عصرهم يتميزون بأصلهم الاسلامي ويوصفون بأنهم جزء من المجتمع الاسباني المسيحي. (ايبالنا ٢٠٠٥، ٥٠-٥١)

طوال العصور الوسطى كان المسلمون يحظون باعتراف شرعي من الممالك النصرانية لاسيما ما يتعلق بالضرائب وحل النزاعات وغيرها، لكن عند اجبار الموريسكيين على التنصر وانضمامهم الى المجتمع المسيحي فقدوا هذا الاعتراف ، لكن الترابط بين افراد المجتمع الاسلامي ظل حياً وظلوا محافظين على تراثهم الاسلامي ، فالرابطة التي تربطهم هي رابطة روحية. حيث مثلت الجماعة المؤسسة الدينية الوسطية بين الاسرة و(الامة) اي كل المسلمين ، فكانت الجماعة وحدة بناء المجتمع الموريسكي في اسبانيا فبدون الجماعة لا يستمر وجود الاسلام (اورتيث، دومينغيث ٢٠٠٧، ٢٠) ، وعندما تشكلت الجماعات الاسلامية في قشتالة الجديدة ووادي ايبرو في اوائل القرن (١١م) استمر المسلمون بصلتهم بالإسلام حتى بعد التعميد الاجباري ، وبعد الطرد النهائي اندمج من بقي في اسبانيا من اطفال وازواج النصرانيات وزوجات النصارى القدامى وبعض العوائل الذين عادوا بالمجتمع الاسباني لأنهم لم يكونوا على اتصال فيما بينهم بعد حل الجماعات الاسلامية ، اما في غرناطة فقد تمكنت جماعة من المسلمين بحدود ٢٠٠ شخص من الحفاظ على الاسلام حتى تم كشفهم في الربع الاول من القرن (٨م) فتم تفريقهم ودمجهم بالمجتمع الاسباني ، يتضح مما سبق استمرار الهوية الاسلامية والحياة الاسلامية للموريسكيين داخل المجتمع الاسباني . (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٠-١٣١)

الأسرة

من بين الملامح المميزة للأسرة المسلمة هي طابعها الابوي اذ تبرز سلطة الاب في اتخاذ القرارات ويبرز دور الام في تنظيم الحياة داخل البيت اما البنات والبنين فكان لهم نظام داخل الأسرة يحدد العلاقة فيما بينهم ويحدد علاقتهم بالاب والاقارب الاخرين وربما كان اندماج الأسر المسلمة في المجتمع النصراني قد اضعف هذه الروابط الاسرية ، ومن المحتمل ايضا ان يكون قوى من الروابط الاسرية نظرا لحاجة الاسر المسلمة الى الترابط ازاء العداء الاسباني المحيط بها وازاء خطر ضياع الهوية وانعزالها عن المجتمع. (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٢)

تتضح الطريقة التقليدية للموريسكيين في بناء الأسرة من خلال اسماءهم والقابهم اذ حافظ المسلمون على نظام التسلسل الأبوي في التسمية (اسم الشخص، كنيته أبو او أم ثم اسم العائلة الذي يأتي بعد كلمة ابن او بنت وهو اسم مستمد من اسم القبيلة او المكان او المهنة وهذا يوضح النظام الابوي اذ كان نظام التسلسل الابوي يقوي من الارتباط بين الموريسكيين. (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٣)

كانت اسماء المسلمين عربية و القاب اسبانية ايضا يطلقها عليهم النصارى او يطلقها المسلمون على انفسهم ولما اجبر المسلمين على اتباع المسيحية كان يطلق عليهم بعد التعميد اسماء لقديسين واتخذوا القابا شبيهة بالقاب النصارى كشكل من اشكال الاندماج القسري في المجتمع النصراني ، وكان اغلب الموريسكيين والموريسكيات يحتفظون باسمائهم العربية في داخل اسرهم بجانب اسمائهم النصرانية التي كانت تظهر في وثائقهم الرسمية (هلايلي، حنفي ٢٠١٠، ٩٥) وقد بدلت اسمائنا وتحولت بغير رضا وبغير ارادة (التلمساني ١٩٣٩، ١١٢) ، وجد هذا الامر في سجلات محاكم التفتيش بحيث اكتشف امر موريسكية واسمها لويزا الازرق التي اختلط عليها اسماء زوجها وابنائها السبعة على ان تتاديههم بأسماء لاتينية امام اعضاء محاكم التفتيش فأحرقت وهي حية (هلايلي ٢٠١٠، ٩٤-٩٥) .

المرأة

تحدثت المصادر المسيحية الى زيادة اعداد الموريسكيات والتي شكلت خطرا على المجتمع المسيحي على الرغم من ارتفاع معدلات وفيات النساء اثناء الولادة كحال النساء المسيحيات في تلك المدة (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٢) .

ذكر المقرري ان النصارى اجبروا المرأة الموريسكية على التبرج واكل الخنزير والاختلاط مع الاجانب وعدم التلفظ بأسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل بشتمه ايضا :

وقد امرونا ان نسب نبينا ولانذكره في رخاء ولاشدة (التلمساني ١٩٣٩، ١١٢) ويمنع على المرأة الزواج طبقا لمبادئ الشريعة الاسلامية وكذلك منع النساء من التنظيف ودخول الحمامات ... الخ (هلايلي ٢٠١٠، ١٤٦-١٤٧) من خصائص المجتمع الاسلامي الفصل بين المرأة والرجل في العلاقات الاجتماعية ، والحد من دور المرأة خاصة في المدينة وذلك للخوف من تعرض الفتاة للاغتصاب وفقد عذريتها كان ذلك عنصرا اساسيا في العلاقات الاسرية وفي العلاقات مع اشخاص خارج محيط الأسرة (إيالتا ٢٠٠٥، ١٣٢).

وكان دور المرأة الموريسكية اساسيا في رفض سياسة الاندماج مع النصارى فقد لعبت دورا مشرفا في مواجهة محاكم التفتيش ومثلت الحارس الامين للقيم والتقاليد الاجتماعية والدينية ، تشير هنا الى الدور الذي لعبته أيزابل كالأفار التي احرقت لإنها لم تخبر عن والدتها واختها وهي في العشرين من عمرها ومن النساء من شنقن انفسهن أو رمين بأنفسهن في بئر ، أو قطعن السنتهن كي لا يبحن بأسرار العائلة عند التعذيب، وفي البيت كانت المرأة الموريسكية ضامنة للطعام الحلال وأحياء الاعياد الدينية ، ومتكفلة بتعليم ابنائها تعاليم الاسلام ، وفي بعض الاحيان كانت تعقد اجتماعات سرية في بيتها مثلما فعلت خوانا لوبيز وهي امرأة موريسكية كانت تعقد اجتماعات سرية في منزلها لأجل تدريس تعاليم القرآن وقواعد الاسلام . (هلايلي ٢٠١٠، ٩٥-٩٦)

الزواج

كان نظام الموريسكيين العائلي يقتضي بالتزواج فيما بينهم وان يكون على النمط الاسلامي وكان احتفاظ الفتاة بعذريتها قبل الزواج امرا ضروريا لذلك اهتموا بالزواج المبكر الذي يسمح به الاسلام خاصة بين ابناء العمومة للحفاظ على الهوية الاسلامية وايضا لتيسير شروط المهر وقبول العيش في بيت ابي الزوج وقد كان الزواج يسبقه عقد ووعد بالزواج منذ الطفولة ، لكن قد يتزوج بعض الرجال بالنصرانيات ، لم يكن هناك اشخاص بدون زواج اذ كان الرجال ممكن ان يعيشوا دون زوجة بسبب تنقلهم، ومن الجدير بالذكر ان نسبة الخصوبة كانت عالية في الاسر المسلمة فزيادة اعداد المسلمين تعود الى عدم وجود ما يحد من نسلهم مقارنة بالنصارى اذ كان ما يحد من نسلهم عدم زواج القساوسة والمشاركة في الحروب والسفر الى مختلف المناطق (إيالتا ٢٠٠٥، ١٣٢-١٣٩)

المناسبات والاعياد الدينية والاجتماعية

يعد التقويم الاسلامي عنصرا محوريا فشهرا رمضان هو الشهر التاسع من السنة القمرية وكان يكرس فيه المسلم نفسه للعبادة والصوم فالموريسكيون كانوا يمسون عن تناول الطعام اثناء النهار ، وكانوا يكتفون بتناول وجبة او وجبتين بين غروب الشمس وطلوعها وهذه الوجبات كانت عبارة فطائر مصنعة من الزيت والجبن .ينتهي شهر رمضان بأول الاعياد الرئيسة الاربعة وهو العيد الصغير (عيد الفطر) والذي يعني الاحتفال بالانتهاء من الصيام وفيه يتم الاحسان عن طريق اعطاء الزكاة للفقراء (اورتيث ، فينسينت ٢٠٠٧ ، ١٤٩) ، اما العيد الثاني فهو العيد الكبير الذي يستغرق اربعة ايام ويطلق عليه النصارى عيد الكباش حيث تذبح فيه الاكباش تذكيرا بتضحية النبي ابراهيم عليه السلام وبعد هذا العيد بأربعين يوما كان يحتفل بيوم عاشوراء، (يوم الانبياء) حيث كان يتم احياءه بالصيام وبعد هذا اليوم بثلاثة اشهر يأتي عيد المولد (Atheucia) وهذه المناسبة يحبها الاطفال وشبيهة بعيد الميلاد المسيحي(اورتيث ، فينسينت ٢٠٠٧ ، ١٤٩)

كان الاسبوع الاسلامي يتكون من سبعة ايام ويوم الجمعة هو اليوم المقدس عندهم وكان الموريسكيون ملزمين باغتسال خاص لكن بشكل سري لأن الافراط في النظافة دليلا على الاسلام وبالتالي يعرضون للمحاكمة كما حافظ الموريسكيون على قدسية هذا اليوم اذ تتوقف في هذا اليوم جميع الانشطة التجارية ، ويرتدون ملابس نظيفة، ومن المعروف ان من الواجب في يوم الجمعة ان تتم صلاة جماعية في المسجد والاستماع الى الخطبة لكن الموريسكيون لم يكونوا قادرين على اداء ذلك وكان العمل يوم الاحد دليلا على عدم الوفاء بالشعيرة المسيحية وكان ذلك يعرض الموريسكيين للخطر كذلك العمل في الحقل كان ذنبا شائعا بين النصارى ، ولم يكن بالنسبة للموريسكيين في المدن الاستجابة لشعيرة ترك العمل يوم الاحد مثل بقية التجار والحرفيين النصارى (ايبالثا ٢٠٠٥ ، ١٣٨)

لاحق رجال الكنيسة واعوان محاكم التفتيش الموريسكيين في صلاتهم وصومهم ومنعواهم من تأدية شعائرهم الدينية .

ومن صام او صلى ويعلم حاله ففي النار يلقيه على كل حالة

وفي رمضان يفسدون صيامنا بأكل ورب مرة بعد مرة (التلمساني ١٩٣٩ ، ١١٢)

لجأت السلطات الاسبانية الى تعميم الارغام على التنصر خاصة في الاحتفالات الدينية حيث اجبروا الاطفال على حضور الحفلات الدينية المسيحية في الكنائس ومنع الالباء من تلقين ابنائهم

مبادئ الشريعة الاسلامية (هلايلي ٢٠١٠، ١٤٦-١٤٧) كما كان لزاما على الموريسكيين حضور مختلف الطقوس المسيحية وإلا تصدر املآهم او يكون مصيرهم السجن وهذا ما سجله المقرئ في ابيات شعره قائلا :

ومن لم يجي منا لموضع كفرهم
وينظم خديعة وياخذ ماله
يعاقبه اللبأ شر العقوبة
ويجعله في السجن في سؤ حالة (التلمساني ١٩٣٩، ١١٢)

اما المناسبات العائلية التي لا تقل اهمية عن الاحتفالات والمناسبات الدينية لدى الموريسكيين هي (الزواج والاحتفال بالمواليد و ختان الذكور والوفاة)

اما الاحتفال بالزواج فكان يتم بمشاركة الجيران بما فيهم النصارى وفي هذا الاحتفال تعرض مظاهر احتفالية موريسكية من الموسيقى والملابس والطابع الفريد لتلك الاعرس هو توافقها مع اعراس النصارى باستثناء قداس الزواج مما يجعلها لاتلفت نظر النصارى على انها مختلفة رغم وجود حضر لموسيقى وصياح الموريسكيين والاحتفال بالزواج مناسبة للتحقق من طقس العفاف وكانت العروس تحمل على راسها رداءً ملونا ، وتؤخذ الى بيت من سيصبح زوجها ، وتدخله مقدمة رجلها اليمنى ، كان الزواج المبكر جدا او بين ابناء العم يتعارض مع تعاليم الكنيسة لذلك كانت محاكم التفتيش تلاحق من يفعله اما الاحتفال بزواج المرأة للمرة الثانية أو الثالثة فيكون اكثر بساطة من زواج البكر ، اما المرأة الارملة فكانت تتزوج حتى لا تبقى دون حماية ، ومن الجدير بالذكر ان الموريسكيين احتفظوا بكل هذه العادات الخاصة بالزواج لانها كانت محصورة داخل نطاق المنزل (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٩-١٤٠ ; اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠) .

كان حفل العقيقة (Las fadas) يمثل اهم طقوس الولادة ويعني هذا المصطلح نذر المولود لله، وذلك عندما يكمل المولود يومه السابع ، كان يحمم للطهارة وتكتب على جبينه بعض العبارات وتوضع على عنقه التمايم التي تتضمن آيات من القرآن الكريم. وبعدها يختار له اسم اسلامي وفي تلك الفترة كان من السهل تغيير الاسم او اضافة اسم اخر الى الاسم الموجود وكانوا يطبقونها على الكنية وعلى النسب الى محل الاقامة لكن نتيجة لأضطهاد النصارى ادى الى اتخاذ الموريسكيين أسماء والقاب مسيحية ، وفي الاخير تذبج له العقيقة (ايبالنا ٢٠٠٥، ١٣٩-١٤٠ ; اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠) ، اما الختان الذي كان يتم في اليوم الثامن للمولود كان ذلك في بداية الامر ثم بدأ يؤجل الى السنة الثامنة من عمر المولود. (اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠)

كانت للموريسكيين شعائر اسلامية خاصة بالموت مثل تلقين الشهادة للميت المحتضر، وتغسيل الميت بالماء المعطر و ثم يتم تكفينه وذكر ايضا انه يتم الباسه افضل ما يملك من ثياب وحمله الى المقابر ودفنه في الارض ووجهه الى مكة المكرمة وكانت المقابر خارج البلدة، ويوضع على القبر بعض الماء والخبز (ابياتا ٢٠٠٥، ١٣٩-١٤٠؛ اورتيت، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠) ويلقى على المقابر فروع من الرياحين ذات رائحة عطرية وكانت النساء يرتدين ملابس بيضاء لكن ليس من السهل ان تحدد مدى التزام الموريسكيين بالشعائر الاسلامية الخاصة بالجنائز والزيب (الطوخي ١٩٩٧، ١٠٥) اذ ذكر المقري ولأجل تطبيق سياسة الاندماج قررت السلطات الاسبانية تحت اشراف الاساقفة، ان على الموريسكيين تلقي مراسيم دفن كنسي ويتحتم عليهم دفن موتاهم في نفس مقابر المسيحيين :

ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي يذكرهم لم يدفنوه بحيلة
ويترك في زبل طريقا مجلدا كمثل حمار ميت او بهيمة
(التلمساني ١٩٣٩، ١١٢)

الملابس

يمكن تمييز النصراني عن المسلم بالرداء الذي يلبسه كل منهما ،حيث يشير احد المؤرخين ((ان ملابس البلنسيين تدعي للاشمئزاز وان الغرناطيين يلبسون سراويل والغرناطيات يلبسن القندرة وقميص طويل من الكتان او الحرير وعليه يوضع عباءة تسمى الملوطة ثم الملحفة وهي عبارة عن قماش من الكتان والصوف او الحرير لونها ابيض والجزء الأعلى يغطي وجه المرأة، اما الرجال فيستخدمون احيانا قفطانا وعمامة)) (عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٤)

من خلال الرسوم البارزة على جدران المصلى الملكي في كاتدرائية غرناطة يظهر بشكل واضح ان مسلمي غرناطة احتفظوا بملابسهم بعد سقوط بلادهم بيد الاسبان حيث احتفظ الرجال بدراعاتهم الواسعة ذات الاكمام الطويلة وسراويلهم التي تصل الى رسغ الساق وتوصل بالاخفاف الجلدية وعلى رؤسهم عمام ذات اشكال مختلفة (الطوخي ١٩٩٧، ٧٨) اما اغطية الرأس فالرسوم في قاعة التريبول في الحمراء توضح الاشكال المختلفة للعمائم خلال القرن (٨هـ / ١٤م) منها تغطي الكتف وتدور حول الرقبة ومنها تغطي الراس فقط وتوضع بطريقة القبعة وعمائم كروية وعمائم موشاة (الطوخي ١٩٩٧، ٧٩) ومن اغطية الرأس الطاشور يشبه الغفارة التي كانت اللباس الاكثر شيوعا والغفارة عبارة عن قلنسوة من الصوف ذات لون احمر او اخضر اما الاصفر فكان مخصصا لليهود (الطوخي ١٩٩٧، ٧٩-٨٠) ومن اغطية الرأس ايضا الطيلسان الذي كان يضعه الشيوخ المعظمون (التلمساني ١٩٣٩، ٢٠٨) وكان المسلمون

في قشتالة يفضلون كأبناء دينهم الاندلسيين ارتداء الطيلسان الذي كان يضعه علماء الدين على الرأس (الطوخي ١٩٩٧، ٨٠)

اما ملابس النساء فلم تعطينا المصادر العربية تفاصيل واسعة عنها بينما نجد معلومات مهمة عن ملابس النساء بعد تسليم غرناطة بوقت قصير وضعها الكتاب والرحالة الاوربيين المتأخرين فالرحالة الالماني الطبيب خيرونيمو مونزير الذي زار غرناطة بعد سقوطها بعامين تحديدا سنة ١٤٩٤م لاحظ ان السيدات في غرناطة جميعهن كن يلبسن السراويل الكتانية والسروال يكون مسترسل فيه طيات تربط بحزام عند السرة ، ومن الاعلى يلبسن قميصا طويلا من الكتان ثم ثوبا من الصوف او الحرير حسب مكانتهن الاجتماعية ، اما الملابس المخصصة للخروج فكانت تتكون من قماش ابيض من الكتان او القطن او الحرير الذي يغطي الوجه والرأس ولا يسمح بظهور اي جزء منه سوى العينين وفي سنة (١٥٢٦م) لاحظ الرحالة الالماني Johannelange ان السيدات والفتيات في غرناطة كن يرتدين وشاحا ابيض يغطي الجسم والرأس من الجوخ كذلك ذكر احد الرحالة الذين زاروا غرناطة سنة ١٥٢٦م ان ملابس النساء المسلمات كان قميصا طويلا وسروال عبارة عن قماش مكبوس يدخل فيها القميص قليلا وفوق القميص معطفا قصيرا مطرز بالحرير مع اكمامه ، غالبا ما تكون من لونين وفوقها عباءة بيضاء كانت رقبة القميص موشاة بالذهب خاصة لدى سيدات الطبقة الراقية و احيانا كانت العباءة البيضاء تحمل زخارف هندسية مذهبة وتضع النساء جميعهن قبعات سوداء على رؤسهن (الطوخي ١٩٩٧، ٨١-٨٢) اما اغطية القدم فكان معروفا لدى الاندلسيين انهم يرتدون في المنزل احذية بيتية من الجلد واخفاف من الجلد الناعم من اللون مختلفة و احيانا مطرزة بالذهب والفضة وتبطن بالحرير وتسمى شاربيل اما خارج المنزل فكانوا يرتدون نعالا سمكة من الفلين او بدون كعب وتترك رقبة القدم مكشوفة وتسمى سباط وفي الحمام يرتدون الققباب المصنوع من خشب الجوز (الطوخي ١٩٩٧، ٨٣-٨٤)

اما الحلي وادوات الزينة تجمع المصادر على اهتمام الاندلسيين بالحلي ، ففي القرن السادس عشر كان الادب الاسباني يصور المواطن الموريسكي بشعر معصب بأكليل من اللؤلؤ و نحر مزين بقلادة من الذهب و اصابع تحمل الخواتم و معاصم مزينة باساور من الذهب (الطوخي ١٩٩٧، ٧٨-٨٦)

كما اظهرت الوثائق ان النساء المسلمات في قشتالة كن يصبغن اظافرهن بالحناء وقد ظلت هذه العادة متبعة حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ومن الجدير بالذكر ان الغرناطيات كن يتمتعن بشعر اسود مرسل وكن يمسكن شعرهن بواسطة وقاية بسيطة او منديل مخطط ، كما



كان اهل الاندلس يصبغون شعرهم بالحناء او السواد عندما يغزو الشيب راسهم (الطوخي ١٩٩٧، ٧٨) لكن الاسبان قد حرّموا على الموريسكيّات الصباغة بالحناء عندما تشددوا في معاملة الموريسكيين (الطوخي ١٩٩٧، ٧٨) فقد منعت السلطات الاسبانية الموريسكيين من ارتداء الملابس العربيّة (التلمساني ١٩٣٩، ٢٠٨) .

الاطعمة والاشربة

ذكر ابن خلدون ان اهل الاندلس غالب عيشتهم على الزيت والذرة حتى اذا ما اخذتهم المجاعات لسنوات لن تنال منهم ولا يهلكوا بالجوع (خلدون ٢٠٠٥، ٨٨) كان غذاء الاندلسيون القمح والشعير اما الارز فقد احبوه كثيرا وكانوا يتناولونه مخلوطا باللبن (ابن الخطيب ١٩٨٠، ٢٨) اما عن انواع الاطعمة في الاندلس كالعصيدة وطوابق الكبش والبيض المقلي بالزيت والفرايج المشوية والثريد (خبز مفتت ومغموس في حساء اللحم) (التلمساني ١٩٣٩، ٢٠٨)، ومن اشهر اطباق اهل الاندلس هو طبق الكسكس ومن يتناوله يعرفون انه موريسكي حيث يذكر ان مسيحي يدعى خوان خوان دي بورغش تناول هذا الطبق الشعبي فكان جزاءه حملة الى محاكم التفتيش طليطلة سنة (١٥٣٨م) للخلاص منه (عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٣) وهذا الطبق عرفه اهل الاندلس منذ زمن طويل وهو نوع من الطعام يتخذ من طحين البر (البرغل)، وينضج على البخار وعند طبخه يوضع السميد الرطب في معجنة ويرش بماء فيه قليل من الملح وبعد تحريكه حتى يلم بعضه ببعض يرفق بعد نفضه بغريال خفيف ليذهب عنه ما بقي من دقيق ويترك مروحا مغطى، ويؤخذ من أطايب اللحم البقري الفتى السمين ومن عظامه الكبار (ومن أراد عمله باللحم الغنم أو الدجاج فليعمله) ويوضع في قدر كبير ويوضع عليها ملح وزيت وفلفل وكزبرة يابسة ويسير بصل مقطع ويغمر بالماء حتى ينضج ويجعل فيه ماتيسر من الخضرة الموجودة مثل اللفت والجزر والقرع والباذنجان... الخ وبعد نضج اللحم والخضرة يؤخذ في القدر المخصص للكسكسو وهي مثقبة الأسفل وتملأ من الكسكسو يرفق ثم توضع على القدر الكبيرة التي باللحم والخضرة ويلصق ما بينها بطرف من عجينة حتى لا يخرج من بخاره شيء ويشد فم قدر الكسكسو بمنشف غليظ لينعكس بخاره وليستحكم طبخه ثم يفرغ في معجنة وليحك باليدين بالسمن الطيب والقرقة والمصطكي حتى يفصل بعضه عن بعض ويوضع في مثرّد لكن لايملاً أذ يسقى الكسكسو في وسطه أولاً ثم حواشيه ويغطى ساعة ثم تسوى اللحم والخضرة على وجه المثرّد ويذر عليها قرفة وفلفل وزنجبيل ويؤكل هنيئاً، وتوجد طرق اخرى لطهيّه، ومن الاطعمة التي اشتهر بها الاندلسيون السويق والكرامخ والعصيدة (السامعي ٢٠١٨، ٣٢٧) ومن



الاطباق الاخرى التي اشتهر بها الاندلسيون المروزية وتفايا وسكاج والامعاء المحشية التي كانت تسمى مركاس والعصبان هي ايضا امعاء تحشى باللحم والارز والتوابل وعرفوا ايضا اللحم المبرد والفول المقلي المملح المسمى بزرياب الموصلي والجيشية الملوكية والهريسة وكانوا يأكلون نوع الارانب يدعى قنلية ويأكلون انواع من الطيور كالدجاج واليمام وطائر يدعى شفين كذلك كانوا يعدون اطباقا مختلفة من الاسماك وكانوا يعدون نوعا من القطائف تعرف بالمجنبات والحلويات (كالزلابية والزيزين والاسفانج والقرص والعصيدة) وانواع مختلفة من المربى بالفواكه والخضروات وانواع من المشروبات ... الخ (الطوخي ١٩٩٧، ٨٩-٩٢)

يقال ان الموريسكيين البننسيين كانوا يفضلون الخبز والفواكه والخضروات والعسل والنبيد والتين على اللحم اما الغرناطيون فكانوا يفضلون الحساء على انواعه (عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٣) وامتنع الموريسكيون عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر رغم الضغوطات التي مورست ضدهم (هلايلي ٢٠١٠، ١٧٣) وكذلك عدم اكل لحم الحيوانات التي لم تذبح اذ كان من وراء تحريم هذه الاطعمة دواع دينية منها ان النبي (ص) حرم لحم الخنزير (لانه وسخ ثوبه الجديد الذي كان يرتديه) حسب قولهم هذا مما حمل الموريسكيين على الامتناع عن اكل الفجل واللفت والجزر اعتقادا بأنها اشياء للخنزير (اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠-١٥١)

العادات والتقاليد الاجتماعية

حرص الموريسكيون على الالتزام بالعادات والتقاليد العربية والاسلامية والسير على نهج المسلمين في انحاء العالم ، بالنسبة للغة كان الموريسكيون يتحدثون لغة مختلفة عن المسيحيين ولهجات مختلفة مشتقة من اللغات المتحدث بها في الدول العربية، فضلا عن اللغة المستعربة التي ترجع اصولها الى اللاتينية وقد كان الموريسكيون على علم تماما بأهمية التحدث بلغة اصلية(عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٥) اما مساكن الموريسكيين فقد تميزت بكونها اصغر من بيوت النصارى وتختلف ايضا في توزيع الحجرات والغرف مع مراعاة الظل والضوء والحرارة والبرودة (عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٤) اهتم الموريسكيين بالنظافة اذ اقاموا الحمامات ، لكن في اسبانيا المسيحية حرمت على الموريسكيين الذهاب الى الحمامات ليس فقط ايام الجمع وفي الاعياد الاسلامية بل بشكل مطلق ، اذ كان سائدا عند الاسبان في العصور الوسطى المتأخرة ان كثرة الحمامات سببا في ضعف الاخلاق والتخلف لكن بمرور الزمن انتقلت عادة اقامة الحمامات في اسبانيا المسيحية (الطوخي ١٩٩٧، ١٠٧) كما اهتم الموريسكيون بالرقص الشرقي على انغام الالات الموسيقية مثل الطبل والغيتة هكذا كانوا يرقصون في افنية الكنائس



حسب النصوص التي دونها الموريسكيين بعد الانتهاء من حفلاتهم والتي كان يشارك فيها ويقدمها اسقف غرناطة هرناندو دي تالابيرا (Hernando de Talavera) (عبدالكريم ٢٠١٦، ٣٤)

حرية الاعتقاد

ظل الموريسكيين الى غاية (١٥٢٥) يتمتعون بمساجدهم وفقهائهم لكن بعد فرض التعميد الاجباري تم غلق جميع المساجد ، فأصبحت العبادة تتم في داخل المنازل او في مساجد سرية رغم متابعة محاكم التفتيش فأن الفقهاء ظلوا يعلمون الموريسكيين مبادئ دينهم ويحثونهم على التمسك بها وعدم الانجراف وراء حملات الرهبان التبشيرية ، كان دور الفقهاء بارزا اذ كانوا مكلفين بجمع الصدقات وتوزيعها على المحتاجين كما كانوا يشرفون على عمليات ختان الاطفال (رزوق ١٩٩١، ١٠٤-١٠٥).

كان للموريسكيين اسلوب خاص في مواجهة المد المسيحي الذي يركز اساسا على مبدأ النقية اي كانوا يعبدون دينين دين النصارى جهرا ودين المسلمين في الخفاء ، لكن الموريسكيين حافظوا والى اللحظة الاخيرة على فقهائهم وتنظيماتهم ومساجدهم رغم هذا الدور الخطير لكنهم اتصفوا بالصبر والثبات حتى في اقوى الظروف (ظروف السجن)، حافظ الموريسكيين على الوضوء والصلاة التي تمسكوا بها ومارسوها بصيغ مختلفة وكانوا يقومون بها في اطار عائلي او في اطار جماعي تحت امره امام يتم اختياره لهذا الغرض (هلايلي ٢٠١٠، ١٧١-١٧٤) اذ كانت للصلاة اهمية بالغة بالنسبة اليهم لذلك فإن ميرثيديس غارثيا أرينال تذكر بأن الموريسكيين وصلوا الى حد اعتبار الحمام سمة لهويتهم الثقافية كان الاغتسال اول واجب على المؤمن ان يقوم به مع طلوع الفجر وقبل اول صلاة كما كان الموريسكيون يغسلون افواههم بعد كل وجبة وكان يشترط في ماء الوضوء ان يكون نظيفاً دون رائحة او طعم او لون ولا يصل الى درجة الغليان او يسخن بأشعة الشمس وكانت الصلاة تشمل الاذان والركوع والسجود وكانت اكثر ممارسة من غيرها اذ كان اداؤها بعيدا عن انظار النصارى كانت السور التي تقرأ في الصلاة يتم تداولها سرا وكان الموريسكيون يقرأون الفاتحة بكثرة وهي اول سور القرآن الكريم، اما فريضة الحج فقد عثر على مخطوطة في ارغون وهي ((مقطوعات شعرية لحاج بلدة بوي مونثون رحلة الى مكة في القرن السادس عشر)) تذكر هذه المخطوطة عن هذا الحج ،ويبدو واضحا ان الموريسكيين لم يكونوا مختلفين في شيء مع المسلمين في تأدية هذه الفريضة . (اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٥٠-١٥١)



اتخذ الاسبان اجراءات صارمة تجاه الموريسكيين الذين تعرضوا في مختلف مناطق الاندلس الى ابادّة جماعية كما ورد في القصيدة :

فسل وحرّا عن اهلها كيف اصبحا
أسارى وقتلى تحت ذل ومهانة
وسل بلفيقا [قلعة بالمرية] عن قضية امرها
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة
ومنياقة بالسيف مزق اهلها
كذا فعلوا ايضا بأهل البشارة
والدرش بالنار احرق اهلها
بجامعهم صاروا جميعا
كفحمة(اورتيث، فينسينت ٢٠٠٧، ١٤٧)

يلاحظ مما سبق ان السياسة الاسبانية قضت بتهميش المجتمع الموريسكي وتجهيله بعد ان قدم هذا المجتمع رسدا فنيا وحضاريا ومعرفيا لم تعرفه مجتمعات البحر المتوسط الاوربية الا بعد عصر النهضة .

الخاتمة

كان الموريسكيون مصرين على تطبيق كل تعاليم العقيدة الإسلامية حتى وصل بهم الأمر الى اعلان الثورة الشاملة وخاضوا حربا استمرت لسنوات. ولا ننسى الإشارة في الوقت نفسه الى الكراهية المتجذرة في كيان الاسبان الذين كانوا يبلغون عن الموريسكيين المتشبهين بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكرههم لكل ما هو اسباني . لذا اثبتت كل الحقائق التاريخية استحالة امتزاج وانصهار شعبين متناحرين ومتنافسين في بلد واحد، إذ كانت اسبانيا انذاك للأسبان وما كان يجب ان تكون الا ذلك في نظرهم .لذلك حسم الصراع باتخاذ فليب الثالث في النهاية قرارا بطرد الموريسكيين وانهاء وجودهم في اسبانيا ، بالرغم من ذلك استطاع عدد قليل من الموريسكيين البقاء في مناطق محدده في اسبانيا بعد قرار الطرد ١٦٠٩م.

يتبادر للذهن ان ثقافة الموريسكيين مصبوغة بالصبغة الدينية او ذات طابع ديني وهذا في الحقيقة ما ارادته السلطات الاسبانية والكنيسة الكاثوليكية وهو صبغها بالطابع الديني وذلك لتعميق الخلاف بين المجتمعين الاسلامي والمسيحي ، لذلك من خلال تسليط الضوء على واقع الحياة الاجتماعية للموريسكيين تبين لنا ان للموريسكيين ثقافة تناولت جوانب مهمة تشمل عادات وتقاليد وحضارة مهمة لا يمكن اغفالها والتي حاولت السلطات الاسبانية الكاثوليكية التقليل من اهميتها والانتقاص من قدرها .



المصادر باللغة العربية :

١. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله . ١٩٨٠. اللّحة البدرية في الدولة النصرية، ط٣. بيروت: دار الاوقاف الجديدة.
٢. اسماعيل السامعي. ٢٠١٨. تاريخ الاندلس الاقتصادي والاجتماعي ، ط١. عمان: مركز الكتاب الاكاديمي.
٣. التلمساني، شهاب الدين أحمد. ١٩٣٩. أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٤. الجارم، بك. ١٩٤٤. قصة العرب في اسبانيا. مصر: مطبعة مصر.
٥. الجوابره، فاطمة محمود. ٢٠٠٤. موسوعة الخلفاء، الفاطميون والعثمانيون، ط١، ج٢. عمان: دار صفاء.
٦. الذنون ، عبدالحكيم. ١٩٨٨. آفاق غرناطة، ط١. دمشق: دار المعرفة.
٧. الرجبي، نزيهه. ٢٠٠٤. "ابو قاسم، الهجرات الاندلسية واثرها على منطقتي تونس وليبيا." رسالة ماجستير غير منشوره، الزاوية، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ص١٩-٢٠.
٨. السامرائي، خليل إبراهيم ؛ طه ، عبدالواحد ذنون ؛ مطلوب، ناطق صالح. ٢٠٠٨. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
٩. الصدي، رزق الله منقريوس. 1907. تاريخ دول الاسلام ، ج٣. مصر: مطبعة الهلال.
١٠. الطوخي، احمد محمد . ١٩٩٧. مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الاحمر. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
١١. المطوي، محمد العروسي. ١٩٨٢. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب. تونس: دار الغرب الإسلامي.
١٢. اورتيت، دومينغيث، فينسينت، برنارد. ٢٠٠٧. تاريخ الموريسكين (مأساة اقلية)، ترجمة: عبد العادل صالح، ط١. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.
١٣. ايبالنا، ميكيل دي. ٢٠٠٥. الموريسكيين في اسبانيا وفي المنفى ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، ط١. القاهرة.
١٤. براتشينا ، دون باسكوال بورونات. ٢٠١٢. الموريسكيون الأسبان ووقائع طردهم ، ترجمة : كنزة الغالي ، ط١ ، ج١.، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٥. بروكلمان، كارل. ١٩٨١. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس، منير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.
١٦. بواس، روجر. ٢٠١١. طرد المسلمين من اسبانيا. ٢١ ٥. <http://www.fustat.com.li.histlandalus.html>
١٧. بوفيل، هاليت. ١٩٨٨. تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي بولقمة و محمد عزيز، ط٢. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.



١٨. جلال، يحيى. ١٩٩٩. تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر. الاسكندرية: المكتبة الجامعي الحديث.
١٩. جيمس، مونرو،. ١٩٩١. سقوط غرناطة، ترجمة، محمد عبد الله الشرفاوي. بيروت: دار الجيل.
٢٠. حتاملة، محمد عبدة. ١٩٨٠. التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين. عمان: مكتبة عين الجامعة.
٢١. حنّي، فيليب ؛ جرجي ، ادورد ؛ ، جبرائيل جبور؛. ٢٠٠٧. تاريخ العرب، ط ١٢. بيروت: دار الكشف.
٢٢. حجي ، محمد. ١٩٦٤. الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. الرباط: المطبعة الوطنية.
٢٣. حماده، محمد ماهر. ١٩٨٨. دراسته وثيقته للتاريخ الإسلامي، ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٤. حومد، اسعد. ١٩٨٨. محنة العرب في الأندلس، ط ٢. بيروت: المؤسسة العربية .
٢٥. راشد، زينب عصمت. ١٩٨٦. تاريخ أوربا الحديث ، ج ١. القاهرة: دار الفكر العربي.
٢٦. رزوق، محمد. ١٩٩١. الأندلسيون وهجرتهم الى المغرب خلال القرنين ١٦ و ١٧ م، ط ٣. إفريقيا الوسطى: الدار البيضاء.
٢٧. سيد، اشرف صالح محمد. ٢٠٠٩. اصول التاريخ الأوربي الحديث ، ط ١. الكويت: دار ناشر.
٢٨. طاهر، كاظم شمهود. ٢٠١٠. الشيعة في الأندلس ، ط ١. بغداد: دار الكتاب العربي.
٢٩. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد. ٢٠٠٥. مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة ابو عبد الله المندوة، ط ٤. بيروت.
٣٠. عبدالكريم، جمال. ٢٠١٦. الموريسكيون تاريخهم وادابهم. القاهرة: مكتبة النهضة.
٣١. عنان، محمد عبد الله. ١٩٩٧. نهاية الأندلس، ط ١. القاهرة: الخانجي.
٣٢. قطب، عمر بكر محمد. ٢٠١٠. "الابعاد النفسية للمحنة الموريسكية." مجلة كان التاريخيه (مؤسسة كان للدراسات و الترجمة و النشر) (العدد التاسع): ص ١٦-١٧.
٣٣. كاربخال. ١٩٨٤. إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج ١. الرباط: مكتبة المعارف.
٣٤. كاربخال ، لويس ديل مارمول. ٢٠١٢. وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمه :وسام محمد جزر ، ط ١ ج ١. القاهرة: المركز القومي للترجمة .
٣٥. مجهول. ٢٠٠٢. نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، تحقيق، محمد رضوان الداية، ط ٢. بيروت: دار الفكر.
٣٦. مظهر، علي. ١٩٤٧. محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها. مصر: المكتبة العلمية.
٣٧. مقديش، محمود. ١٩٨٨. نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، تحقيق، علي الزواري، محمد محفوظ، ط ١ ج ٢.، بيروت: دار التراث الاسلامي.
٣٨. نوار، عبد العزيز. ١٩٩٧. ،التاريخ الأوربي الحديث . القاهرة : دار الفكر العربي.
٣٩. هلايلي، حنفي. ٢٠١٠. ابحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي. الجزائر: دار الهدى.

٤٠. هيبروسكوت، ويليام. ١٩٦٢. تاريخ عهد فرديناند وإيزابيلا الكاثوليكية ، مختصر ومحرر بواسطة
سي هارفي جافدينر . لندن.

المصادر باللغة الانكليزية :

1. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad bin Abdullah. 1980. *allamhat albadariat fi aldawlat alnasriati* [Al-Lama Al-Badriyya in the Nasrid State], 3rd Edition. Beirut: New Endowment House.
2. Ismail Al-Samei. 2018. *tarik alandls aliaqtisadii waliajtimaiei* [Economic and Social History of Andalusia], 1st Edition. Amman: Academic Book Center.
3. Al-Tlemsani, Shihab Al-Din Ahmed. 1939. *'azhar alriyad fi 'akhbar eiad* [Riyadh Flowers in Ayyad News], investigation, Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Abyari, Abdel Hafeez Shalaby. Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee Press.
4. Algarim, Bik. 1944. *qisat alearab fi asbanya* [The Story of the Arabs in Spain]. Egypt: Egypt Press.
5. Al-Jawabra, Fatima Mahmoud. 2004. *mawsueat alkhulafa'i, alfatimiwn waleuthmaniuwna* [Encyclopedia of the Caliphs, Fatimids and Ottomans], 1st Edition, Part 2. Amman: Dar Safaa.
6. Al-Dhanoun, Abdul Hakim. 1988. *Granada Horizons*, 1st edition. Damascus: Dar al-Ma'rifah.
7. Rugby, honest. 2004. "Abu Kassem, Andalusian Migrations and Their Impact on the Regions of Tunisia and Libya." Unpublished master's thesis, Al-Zawiya, Seventh of April University, Libya, pp. 19-20.
8. Al-Samarrai, Khalil Ibrahim; Taha, Abdul Wahid Dhanoun; Wanted, good speaker. 2008. *tarik allearab wahadaratuhum fi al'andils* [Arab History and Civilization in Andalusia]. Beirut: United New Book House.
9. Al-Sadfi, Rizkallah Menkerios. 1907. History of the Islamic Countries, Part 3. Egypt: Al-Hilal Press.
10. Al-Toukhi, Ahmed Mohamed. 1997. *Manifestations of Civilization in Andalusia in the Age of Bani Al-Ahmar*. Alexandria: University Youth Foundation.
11. Al-Matawi, Muhammad Al-Arousi. 1982. *The Crusades in the East and the West*. Tunisia: Dar Al-Gharb Al-Islami.

12. Ortiz, Dominguez, Vincent, Bernard. 2007. *The History of the Moriscos* (The Tragedy of a Minority), translated by: Abd al-Adel Saleh, 1st Edition. Cairo: Supreme Council of Culture.
13. Ibalta, Mikel D. 2005. *almuriskiiyn fi asbania wafi almanfaa* [The Moriscos in Spain and in Exile], Translated by Jamal Abdel Rahman, 1st edition. Cairo.
14. Bracina, Don Pasquale Boronat. 2012. *The Spanish Moriscos and the facts of their expulsion*, translated by: Kenza Al-Ghali, 1st Edition, Part 1,. Beirut: Scientific Books House.
15. Brockelmann, Carl. 1981. *tarikhi alshueub al'iislamiati* [History of Islamic Peoples], translated by: Nabih Amin Fares, Mounir Al-Baalbaki. Beirut: House of Knowledge for Millions.
16. Boas, Roger. 2011. "Expulsion of Muslims from Spain". 21 5. <http://www.fustat.com.li.histlandalus.html>
17. Bofill, Hallett. 1988. *The gold trade and the inhabitants of the Maghreb*, translated by Hedi Bouloukma and Mohamed Aziz, 2nd edition. Benghazi: Garyounis University Publications.
18. Jalal, Yahya. 1999. *tarikhi afriqia alhadith walmueasiri* [Modern and Contemporary History of Africa]. Alexandria: The Modern University Library.
19. James, Monroe. 1991. *suqut gharnatat, tarjamata, muhamad eabd allah alsharqawi* [The Fall of Granada, translated by Muhammad Abdullah Al-Sharqawi]. Beirut: Dar Al-Jeel.
20. Hatamleh, Muhammad Abduh. 1980. *The forced Christianization of the Muslims of Andalusia during the reign of the two Catholic monarchs*. Amman: Ain Al-Jamea Library.
21. Even, Philip; George, Edward; Gabriel Jabbour; 2007. *tarikhi alearbi*, ta12 [History of the Arabs], 12th edition. Beirut: Dar Al-Kashf.
22. Hajji, Muhammad. 1964. *The semantic angle and its religious, scientific, and political role*. Rabat: The National Press.
23. Hamada, Muhammad Maher. 1988. *A Documentary Study of Islamic History*, 1st Edition. Beirut: Al Resala Foundation.
24. Houmed, Asaad. 1988. *The Ordeal of the Arabs in Andalusia*, 2nd Edition. Beirut: The Arab Foundation.
25. Rashid, Zainab Esmat. 1986. *tarikhi awrba alhadith* [History of Modern Europe], Part 1. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

26. Razouk, Muhammad. 1991. *Andalusians and their migrations to Morocco during the 16th and 17th centuries AD*, 3rd Edition. Central Africa: Casablanca.
27. Syed, Ashraf Salih Muhammad. 2009. *asul altaarikh al'uwrubiyi alhadith* [The Origins of Modern European History], 1st Edition. Kuwait: Publisher.
28. Taher, Kazem Shanhoud. 2010. *alshiyat fi al'andalus* [The Shiites in Andalusia], 1st edition. Baghdad: Arab Book House.
29. Ibn Khaldoun, Abdul Rahman bin Muhammad. 2005. *Introduction by Ibn Khaldun, corrected and indexed by Abu Abdullah Al-Manduwa*, 4th edition. Beirut.
30. Abdul Karim, Jamal. 2016. The Moriscos, *almuriskuwun tarikhuhum wadabuhum* [Their History and Ethics]. Cairo: Al Nahda Library.
31. Annan, Muhammad Abdullah. 1997. *nihayat alandilsi* [The End of Andalusia], 1st edition. Cairo: Al-Khanji.
32. Qutb, Omar Bakr Muhammad. 2010. "Psychological Dimensions of the Moorish Ordeal." *Kan Historical Journal* (Kan Institute for Studies, Translation and Publishing) (Ninth Issue): p.16-17.
33. Carvajal. 1984. *Africa*, translated by: Muhammad Hajji and others, Part 1. Rabat: Knowledge Library.
34. Carvajal, Luis del Marmol. 2012. *Proceedings of the Morisco Revolution*, translated by: Wissam Muhammad Jazar, 1st Edition, Part 1. Cairo: National Center for Translation.
35. Anonymous. 2002. *Briefly about the era in the news of the kings of Bani Nasr, investigation, Muhammad Radwan Al-Day*, 2nd edition. Beirut: Dar Al-Fikr.
36. Mazhar, Ali. 1947. *mahakim altaftish fi asbanya walburtughal waghayruha* [The Inquisition in Spain, Portugal and others]. Egypt: Scientific Library.
37. Mogdish, Mahmoud. 1988. *nuzhat alanzar fi eajayib altawarikh walakhibari, tahqiq, eali alzzwari, muhamad mahfuza* [Nuzhat Al-Anzar fi Wonders of History and News], investigation, Ali Al-Zawari, Muhammad Mahfouz, 1st edition, Part 2. Beirut: House of Islamic Heritage.
38. Nawar, Abdel Aziz. 1997. *altaarikh al'uwrubiyi a hadith. alqahirat: dar alfikr alearabii* [Modern European History]. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.



-
39. Helaili, Hanafi. 2010. *abhath wadirasat fi altaarikh alandilsii almuriski* [Research and studies in Andalusian-Moorish history]. Algeria: Dar Al-Huda.
 40. Hebruscot, William. 1962 *tarikh eahd firdinand wa'iizabilaa alkathulikiat , mukhtasar wamuharir biwasitat si harfi jafdinar* [A History of the Reigns of Ferdinand and Isabella the Catholic, Abridged and Edited by C]. Harvey Gavdiner. London.